بريد الجمعة

ثراء المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الجمعة ■ ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٢ ■

يكتبه : عبدالوهاب مطاوع

الأذن المقطوعة!

فى رأى ... سيدة تحولت يومها لتشكو من ... أنها ... فقالت ... سيدة أمى تدفع ... عمرها بالحسرة ... مرارة شديدة ... وتحول إلى ... وفقدان ... بحسها ... وبالتالى ... وهكذا تحولت ... الزواج ... واحدة قد تكون ... من عمرى وسعادة وحسبة فى رأى الجميع وقد تزوجت منذ ١٨ عاما وأنجبت ثلاثة أبناء وعاشت مع زوجى كل ... سكنت منه كانبة الرسالة. ومنذ العام الأول للزواج ... بعد عام واحد كما تعى كشفت كل ... عما ... عن أطلع على أسباب ... مشاكل الزواج فى بدايته كثيرة. الى أن أصيبت بعدة أمراض مثل الأطباء إنها ناجمة عن القلق النفسى والتوتر. كالعدة النرفية العصبية والطفح الجلدى اسمى بالصدفية والذى غزا كل جسمى من فروة الرأس الى القدم. والقولون العصبى. وبعد عشر سنوات من الصبر والاحتمال جاء الانفجار فى النهاية. وتركت لزوجى البيت والأبناء. وعدت إلى بيت أهلى. ولأنى من أسرة بسيطة لكنها محترمة فلقد عنفنى أخوتى وأم جاهدين على تركى البيت والأبناء. فاضطررت لأن أحكى لهم عما أعانيه مع زوجى من سوء معشرة وإهانة وإهمال وضرب وشك وغيرة وشجار دائم أمام الأبناء. بالرغم من رجائى له أن نكون خلافاتنا بيننا وحدنا. إلى جانب نكديته وعبوسه الدائمين. ورفضت العودة إليه. لكن والدتى رفضت فكرة طلاقى وأصرت على عودتى إليه.. مهما كان ما أقاسيه معه لأننا كأسرة لا نعرف الطلاق ولابد أن نرضى بأقدارنا. وبدأت الحالات المرضية التى أعانيها تخف تدريجياً. فقبلت بالعودة إلى زوجى بعد أن أخذ أخوتى عليه تعهداً بعدم التعرض لى بالضرب والإهانة ورجعت بالفعل. وبدا هو يلين بعض الشىء. معى. لكنى رجعت إليه بنفس غير سليمة.. فبدأت أتعرف على أصدقاء من الرجال والتقى بهم فى مقابلات عادية فى الأماكن المفتوحة لكى أقضى بعض الوقت بعيداً عن المشاكل وأتنزه وأروح عن نفسى. وفى نفس الوقت أنتقم من زوجى لأنه كان يتهمنى بخيانته وأنا ملتزمة وبريئة.. ولم أكن قد عرفت غيره من الرجال وإنما كنت فقط إنسانة اجتماعية ومرحة وكان هذا يثير شكوكه وغيرته. ومازلت حتى الآن يا سيدى أتكلم مع الأصدقاء الرجال تليفونياً وإن قل خروجى معهم ولقد أصبح ذلك بالنسبة لى أشبه بالعادة التى لا أستطيع الإقلاع عنها مع أنى أدعو الله أن أتخلص من هذه الحركات الصبيانية لهذا أنصح السيدة كاتبة الرسالة : بأن تتخذ قرارها فى وقت مبكر ونشكر ربها أنها لم تنجب من زوجها أبدا.. لأنها إذا استمرت معه على هذا الحال فسوف يجىء يوم مرحلة الانتقام منه. ولا أحد يعرف كيف سيكون شكل هذا الانتقام.

ولقد طلب منى شقيقى أن أعتبر زوجى مريضا نفسيا وأن أتحمله. لكنى أخشى أن أقع فيما لا أرضاه لنفسى ولا لأبنائى. فماذا تشير علىّ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا شىء يبرر للزوجة المحصنة أن تفرط فى التزامها الأخلاقى والدينى. ولو كانت تتجرع العلقم كل يوم فى حياتها الزوجية.. ذلك أنها إنما تحفظ شرفها لنفسها والتزاما بتعاليم ربها.. ولبس «مكافأة» لزوجها على حسن معاشرته لها.. فإذا أحسن عشرتها واصلت التزامها الخلقى والدينى، وإذا أساءها انطلقت تتخبط بين الرجال ولا عجب فى ذلك لأن كلا من الزوجة والزوج مطالب بأن يرعى الله فى سلوكه بغض النظر عن نصيبه من السعادة فى الزواج أو الشقاء.. فإن شق على احدهما احتمال حياته مع شريكه فلقد شرع الله سبحانه وتعالى لنا الطلاق.. ولم يشرع لنا الاجتراء على حدوده.. أو الخيانة.. أو السقوط فى بئر الإثم والخطيئة.. ولم يقبل منا أى تبرير لذلك. كما أن تفريط الزوجة فى التزامها الأخلاقى لمثل هذا السبب الذى تزعمينه وهو الانتقام من الزوج.. ليس فى الحقيقة انتقاما منه وحده وإنما هو أيضا تدمير للذات.. وإساءة بالغة إليها قبل أن يكون إساءة للزوج، وأمر أشبه بما كانت تفعله قلة من العبيد فى ظلمات العصور الوسطى حين يضيقون بسوء معاملة سادتهم وإرهاقهم لهم بالعمل الشاق فيعطبون أنفسهم بقطع القدم.. أو كف اليد لكيلا يكون فيهم نفع كبير لهؤلاء السادة، فإذا كان السيد قد أضير بالفعل بعطب رقيقه.. فلقد أذى هذا الرقيق نفسه أذى أشد ضراوة من أذى صاحبه.

كما أنه أمر أشبه كذلك بما يرويه المثل الإنجليزى عن الرجل الذى ضاق بسوء عشرة زوجته له وأراد الانتقام منها فقطع أذنه لكى تعيرها الزوجات بعاهة زوجها الجديدة!

وهذا هو نفس الحال بالنسبة لمن تقدم على ما أقدمت أنت عليه وتبرره لنفسها بهذا المبرر الموهوم..

إنه سهم يرتد إلى صدر من أطلقه.. قبل أن يصيب هدفه المزعوم ومن خداع النفس أن تحاولى يا سيدتى أن تبررى لنفسك تخبطك بين الرجال بأنها علاقات عادية تجرى فى الأماكن المفتوحة، لأنه لا شىء عاديا فى علاقة زوجة محصنة برجل أجنبى عنها.. وإلا لما تخفيت بها عن زوجك وابنائك وأهلك وكل من يفترضون فيك الاستقامة والعفاف. ورسولنا الكريم صلوات الله وسلامه يقول لنا: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

ولاشك فى أنك «تكرهين» بكل تأكيد أن يطلع على علاقاتك «العادية» هذه أبناؤك وأهلك وكل من ينظر إليك نظرة الاحترام.. فأهيك عن زوجك قبل كل هؤلاء وبعدهم!

صحيح أنه لابد من أن يتحفظ الزوج فى رمى زوجته المحصنة بظنونه وشكوكه، وأن يتردد ألف مرة قبل أن يطعنها، بسوء ظنه عسى أن يكون مخطئا فى ظنونه فيجرح كرامتها فى الصميم، لكن ارتكاب الزوج لمثل هذا الخطأ حتى ولو كان بشعا لا يبرر لزوجته الإنحدار إلى نفس المستنقع الذى كان يرميها به بالباطل بدعوى الانتقام منه.. أو بدعوى أنها مادامت متهمة بالحق والباطل فلا بأس بأن تجرب الثمرة المحرمة التى طالما اتهمت بها ظلما من قبل!

ومن واجب الزوجة أن تحفظ نفسها فى كل الأحوال.. وعلى زوجها إثم رمى المحصنات الغافلات بغير بينة. ولقد عبر عن ذلك أحسن التعبير الكاتب المسرحى الأيرلندى أوسكار وايلد فى مسرحية «مروحة ليدى وندرمير» حين أجابت الزوجة من حاول اغواءها بدعوى أن زوجها يخونها متماثلة فى استنكار شديد: هل اذا كان الزوج سافلا وجب على الزوجة أن تكون سافلة مثله!

فإذا كنت تبررين لنفسك هذه العلاقات بانها لا تتجاوز اللقاءات فى الأماكن المفتوحة والاتصالات، فإنه ليس فى الخيانة الزوجية درجات للتفاضل.. تتميز بها واحدة عن أخرى خطت بضع خطوات أوسع على الطريق المنحدر.

وكل من تخطو اية خطوة على هذا الطريق مخطئة سواء كانت فى بدايته أم بلغت شوطه السحيق.. «لأن من يرتع حول الحمى . كما يقول لنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه . يوشك أن يخالطه ومن يخالط الريبة يوشك ان يجسر» كما يقول لنا ايضا: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس».

وأنت غارقة الآن يا سيدتى فيما به بأس.. وبأس شديد ويصدق عليه قول الحق سبحانه وتعالى: «وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم» ١٥ النور، فكفى عما تفعلين.. وقاومى هذا التخبط الذى اوشك أن يصير عادة متاصلة فيك واعملى بنصيحتك أنت لكاتبة رسالة «الرجل الصائب» واحسمى امرك مع زوجك ومع نفسك بلا مماطلة.. فإما أن تحصلى على الطلاق منه وتواجهى أهلك ومجتمعك وأبناءك به، وتتحملى كل تبعاته وإما أن تكفى عن هذا الانتقام الموهوم منه، وتلتزمى بالإخلاص لزوجك والحفاظ على نفسك وتتواءمى مع حياتك بكل مثالبها.

ولا تذكرينا فى النهاية بقصة الحمامة والثعلب ومالك الحزين فى كتاب كليلة ودمنة.. حيث شكت الحمامة لمالك الحزين من انها كلما فقس بيضها جاءها الثعلب ونادى عليها من أسفل الشجرة ان تلقى إليه بافراخها وإلا صعد إليها وقتلها.. فتلقى إليه بها وهى باكية، فطلب منها مالك الحزين فى المرة المقبلة حين يجيئها الثعلب ان ترفض إلقاء افراخها إليه وتطلب منه الصعود إليها لأنه سيعجز عن ارتقاء الشجرة.. وفعلت ما نصحها به مالك الحزين وعجز الثعلب عن التهام أفراخها ثم سألها عما علمها ذلك وعرف انه مالك الحزين، فذهب إليه والقى على نكائه وحكمته ثم طلب منه ان يريه أين يخفى رأسه إذا جاءته العاصفة من يمينه، فأجابه بانه فى هذه الحالة يخفى رأسه تحت جناحه الأيسر من الريح هكذا.. فأشار بحسن تصرفه ثم سأله وإذا جاءتك من اليسار فأجابه بانه فى هذه الحالة يغطى رأسه بجناحه الأيمن هكذا فأثنى على براعته، ثم سأله وإذا جاءتك من الأمام ومن الجانبين فأجابه بأنه فى هذه الحالة يغطى رأسه بجناحيه معا هكذا.. فانقض عليه الثعلب والتهمه وهو يقول له:

- يا عدو نفسه ترى الرأى للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك!